المقترب النقدي للمنهج السيميائي، محدّدات مقاربة النّصوص السّردية

The critical approach to the semiotic method, determinants of the narrative texts approach.

دواح حسين *

جامعة وهران 01 (الجزائر) douahhocine@gmail.com

تاريخ الارسال 2020/12/04 تاريخ القبول 2021/04/12 تاريخ النشر 2021/06/01

ملخص:

يعالج هذا البحث إشكالية نقدية، ضمن سياق المناهج النقدية المعاصرة، وهي المقاربة النقدية للمنهج السّيميائي، والتي تقتضي استحضار قاموس خاصٍّ، يضمنُ قراءات أصولية، تبحثُ في سؤال الماهية عبر الفروع، عن حقيقة الإنسان وجوديا، من خلال تكريس عتبات الفهم الموجّهة إلى إدراك كُنْهِ الذّوات (الذّات)؛ وليس المقصود بالذّات هنا، الذّاتَ البشريّة، وإنّما الذّات الموضوع، والذّات النّصّ؛ حيث حاول البحث أن يشتغل على تقديم مقاربة جديدة، ترتهن إلى محدّدات يقترح مصطلحاتها الباحث، وذلك بعد أن قدّم رؤيته النظرية في كيفية الاشتغال على أنساق النصوص السردية، من خلال المحدّدات الثلاث التي اقترحها، وهي: الاكتشاف والإظهار والتسويغ؛ حيث إنّ الوحدات الدلالية تظلّ مجهولة الهوية، كونها وحدات تحمل دلالات معجمية، تتأرجح بين مستوى الدلالة السردية ومستوى المحكي؛ تارة تتقابل، وتارة تتماثل وتارة تتكامل؛ فلذلك يقترح الباحث المحدّدات التالية: محدّد التقابل، محدّد التماثل، محدّد التكامل.

الكلمات المتاحية: المقاربة، النقدية، التّأويل، السيميائية، السرد

Abstract:

This research deals with a critical problem in the context of contemporary critical approaches, which is the critical approach to the semiotic method, which requires the preparation of a special dictionary that includes fundamental readings that search for the question of the essence across branches, about the reality of man on an existential basis, by devoting the thresholds of understanding directed to the perception of his being (Self); The subject here is not intended, the human subject, but the subject subject, and the text subject. Where the research tried to work on presenting a new approach, depending on the determinants the researcher proposes, after he presented his theoretical vision of how to work on the formats of narrative texts, through the three determinants that it proposed, namely: discovery, demonstration and justification. As the semantic units remain anonymous, as they are units that carry lexical connotations, fluctuating between the level of the narrative significance and the level of the narrative; Sometimes they meet, sometimes they coincide, sometimes they complement. Therefore, the researcher proposes the following determinants: the determinant of contrast, the determinant of symmetry, the determinant of integration.

Keywords: Approach, critical, semiotic, narrative

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

إنّ الحديثَ عن المقترب النّقدي للمنهج السّيميائي، يقتضي استحضار قاموس خاصٍّ، يضمنُ قراءات أصولية، تبحثُ في سؤال الماهية عبر الفروع، عن حقيقة الإنسان وجوديا، من خلال تكريس عتبات الفهم الموجّهة إلى إدراك كُنْهِ الذّوات (الذّات)؛ وليس المقصود بالذّات هنا، الذّاتَ البشريّة، وإنّما الذّات الموضوع، والذّات النّصّ؛ " لأنّ النّصّ هو في ذاته أنفس النصوص التي أنتجَتها أية ثقافة بشرية، ومن هنا فهو النصّ الذي يحثُّ على التأويل[1]"، ولأنّ الغوصَ في عمليات فهم الذّات هو من صميم التّأويل السّيميائي، ولما كانت هذه العمليات جُزءًا من مشاريع الذّات، حدثَ شرخٌ في بناء خطاب المنهج، وهذا ما استدعى بناء نُظُمٍ سيميائية موازية لحيواتِ الذَّواتِ الإنسانيةِ اليوميةِ، ترتكزُ إلى عناصر الإدراك الخفية والظاهرة، عبر أنساق المظهرات والمضمرات؛ لأنّنا " نتشاركُ العالمَ ونتقاسمُه من خلال رموز عامّة أو علامات مشتركة، ومن المتعذّر أن نشارك أي شخص واقعَه إلا من خلال وساطة عالمِنا الرّمزي- أي من خلال نصّ من صنف ما- ولكلّ نصّ Texte سياقCotexte أو سياقات في واقع الأمر[2]"

ومن ثمّة فخطاب النقد، سيغدو المعنى الثّاني الجديد، ويُصبحُ العلامة الدّمغة على المعنى الأول، لأنّ العلاقة التي تحكم خطاب النّقد بخطاب المتن، هي خطاب المهج، فهي بمثابة علاقة المعنى بالشّكل؛ والناقد حين يضيف كلامه إلى كلام المتن، قد يشوّه الموضوع، ويخرق ذات النّص، حتى يمكن له أن يعبّر به عن ذاته، ولا يسعى أن يجعله محمول شخصه فقط، بل يعيد صياغته مرة أخرى، " فلم يكن النّصّ نصّا بل عملا، وينبُعُ كلٌّ من قوّة وضعف التأويل النّقدي الجديد من هذا التمركز المتطرّف حول العمل كموضوع ذي معنى فريد[3]" أي أنّ خطاب النّقد حتى لو كان ذاتياً فهو قراءة ثانية للمتن وإضافة له، تعكس الموروث الثّقافي للنّاقد؛ وحينئذ تكون هذه الإضافة النّقدية هي علامة خطاب المتن. لأن العلامة في حالة تجدد وتغير وتحول مستمر، وهذا ما يعطي خطاب النقد نوعاً من الحيوية الخلاقة لأنّه يتجاوز بذلك المعاني المركزية للنّص المتن؛" أي أنّنا لا نستطيعُ أن نُضفي أي معنى نشاء على النّص بل إنّنا نستطيعُ أن نضفي عليه كلّ المعاني التي نستطيعُ ربطها بالنّصّ عن طريق الشفرة التأويلية[4]" وهنا تنسحب نظرية المرآة العاكسة، على الإسقاطات المتقابلة؛ لأنه " عندما يفهمُ المرء شخصا آخر فإنّه يتمثّلُ قوله حتى ليُصبح هذا القول قول المرء نفسه، ويعيش أطول أمدٍ ممكن في سياقات المرء ورموزه[5]"

ممّا لا شكّ فيه، أنّ التأويل السيميائي، يقتضي وجود بنى دالة، وفي مضامينها تحدثُ عمليةُ إنتاج المعنى، والتي هي فهمٌ للحدود التّعيينيّة تركيبيا، عبر مفهوم النّسق، بوصفه مجموع نظام البنيات أو مجموعة الوحدات، والذي يُمكنُ أن تندمجَ فيه جميع التأويلات، من خلال هدمِ تلكَ الحدود التّعيينية فكريا ونظريا، وإعادة بناء معانِيها تطبيقيا وخطابيا؛ ومن ثمّة لم تعُد السّيميائيات علمًا للمضامين، بل تأويلا للرّموز، عبر محاولات تحديد

ماهية الغموض، عند تخومِ التأويل، لأنّ ذات النّصّ نوع من الهسهسة لزمن مُغاير يظلّ يختفي بالمابعد، عبر ارتحال المعاني، التي تروم الاختلاف، في كلّ شظايا السّرود؛ " بمعنى أن ما يُميّزُنا كأشخاص هو أننا موجودات واعية بذاتها، أي أنّ بوسعها أن تعرف نفسَها رمزيا، وأن تنعكسَ على نفسها تأمُّليا[6]" وهذا ما ذهب إليه مارتن هايدجر عندما قال" اللغة تقول الإنسان"

تعالجُ السّيميائية السّردية عمومًا وحدة المعنى وفُهوم المعنى السّردية، من أجل إرساء معالم النّقود التأويلية، للذّوات السّردية، في داخل ذوات النّصوص، سعيًا لبناء الحقيقة وتقويضِ الشّكوك التي ترهق الأفكار، والنّصوص، ومعتقدات الذّوات، في ماهياتها الأولى؛ كون تلك الشّكوك تظلّ دوما تكبحُ بلوغ مختلف المعايير والقيم التي تحملُها النّصوص؛ وإن كانت في الأصل نقطةَ التّماس فلسفيا معَها؛ ومن ثمّة فمحاولةُ تمثّل سردية النّصوص سيميائيا من خلالها، سيزيد من غموضها والتباسها، عند آخر مستوى من مستوياتها التأويلية، لتجدَ النقودُ نفسَها أمام معضلة التأويل المضاعف؛" إنه فائض يروغ من النّطق، ويُفلتُ من شبكة اللغة، ومن ثمّ فهناك دائما شيء بين السطور، شيء على طرف اللسان، شيء لا يُقال ويوشك أن يُقال، وهناك دائما حاجة إلى الاستعارة، Métaphore والصورة Image والسرد Narrative [7]"

ضمن هذا السّياق انزاحتْ فلسفةُ النقود السيميائية السّردية–ضمنيا– إلى شكوك المعرفة التأويلية؛ فقد فهِمتْ رمزيةَ الواقع عبر تركيبيتِه التّرميزية، من خلالِ مُجملِ التّبريرات التأويلية التي قدّمَتها؛ لأنّ التبريرات هي الجدارُ الذي تتهمّشُ عنده كلّ فوائضِ المعاني، وهي تُجاوزُ حدودَ إرجاءاتها، والقائمةِ أساسا في ثنايا النّصّ السّردي، الموجّه بقصد أو دون قصد، إلى محكمة التأويل عبر فاعلية التّلقي، حيثُ " يبدو أنّ تعافي المعنى الأصلي هو في كثير من الأحيان وهم وضلال وغاية لا تُدرك، فالمعنى الأصلي قد مضى في ذمّة نفسه... تبدّد فور انبثاقه، ولم يبق منه إلا تأويله (إنّه كذكر النّحل الذي يموت فور الإخصاب، يموت فور التقائه بحقيقته) لا يحكمُ الأصلُ إلا يوما واحدا، ويُخلع بعدهُ ويُصبحُ سببًا للحاكم الأبدي الفعلي... التأويل[8]"؛ وذلك من خلال ثنائية سردية المبدع وإعادة سردية المتلقي لها، ضمن سياق إعادة بناء الفُهوم؛ وهو ما أُسمّيه بفعل التّسريد، وهنا نجدُ أنّ التأويل السّردي ينهضُ بحملِ هذا القدر من الإمكان البرهاني، لتعليل سردية تأويلية ما بعينها، دون سواها، فـ" القراء هم ذوات منقسمة تتخلّلها الشفرات، وترك القارئ حرا في التأويل أمر مستحيل[9]"

يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

2. منطلقات السيميائيات في مقاربة النّصوص السّردية:

إنّ المنطلق الذي سينطلق منه هذا البحث هو تقديم وضبط بعض المحدّدات السّيميائية الأساسية والكبرى في مقاربة النّصوص السّردية، بغية معرفةِ كيفية اشتغال أنساقها؛ من منظور السّيميائيات السّردية؛ لأنّ

السّيميائيات السّردية انمازت بالشّمولية في التّصوّر، والعمق في التّحليل[10] كما أنّها امتلكت فاعلية القدرة على النّفاد إلى البواطن البعيدة للنّصوص، من خلال الكشف عن آليات انتظامها، وتحديد القواعد المتحكّمة في تشكيل دلالتها عبر مختلف مستوياتها وبنياتها.

إنّ محاولة ضبط الدّلالة في عمومها وكلّيّتها، هي في الأساس محاولة لضبط العلاقات القائمة بين الوحدات الدّلالية الكامنة والمضمرة في عمق أنساق النّصوص، من خلال الاكتشاف ثم الإظهار ثم التّسويغ؛ حيث إنّ استكشاف البنيات الدّلالية العميقة، عبر أنساق النّصوص، يظلّ عملا مبتورا، ما لم يُتبع بإظهارها وإخراجها؛ انتهاءً إلى هذه المرحلة، فإنّ هذا العمل سيظلُ تحليلاً، ينهضُ به محلّل يمتلك الآليات والمفاتيح.

إنّ الهدف الذي نسعى إليه من خلال رؤيتنا هذه، يتجاوز التحليل العلمي الآداتي الوظيفي (معرفة كيفية اشتغال الوظائف)، ويطمح إلى الممارسة النقدية التي تحدوها ذائقة أدبية متمرّسة، كيما يُتأتّى لها مُكنة التسويغ؛ لأنّ عمل المحلّل الأداتي غير الناقد، يجبُ أن يُكلّل ويُتوّج – في نظرنا– بالتسويغ النقدي، في " محاولة إيجاد تكامل بين داخل النص كبنية، وخارجه كقراءة[11] "، في ظل الحركة النقدية المعاصرة؛ ولذلك حاولت الدراسات النقدية استلهام النظرية السيميائية كتصور نقدي شامل يجمع بين رؤى النص بوصفها دوالا، ورؤى القراءات النقدية بوصفها مدلولات.

وعليه؛ فقد أضحى التأمّل وإمعان الفكر، مدخلا تحليليا، تحاول من خلاله المقاربات النقدية المعاصرة، تفكيك النصوص وعلاماتها، وما تنطوي عليه من رموز ودلالات ومؤشرات، وهذا ما جعل العملية التحليلية السيميائية تنساق إلى معالجة مختلف أبعاد النّصوص النّسقية، سواء المتقابلة أم المتشاكلة، أم المتصادمة منها، وتقفزُ على سطوح المظهرات، بحثا في أركيولوجيا المضمرات؛ وهذا ما أضفى عليها سمةَ التجاوز والعبور، من خلال تجاوز العلامات والمعطيات اللغوية التلفّظية، إلى تخوم المعرفة الفكرية الإنسانية، عبر جسور التّسويغ.

والذي نقصده بالتّسويغ هنا، هو التّسويغ الذي يأتي بعد الاكتشاف والإظهار؛ وهو تعليل العلاقة بين البنتين العميقة والسطحية، في تقاطعهما وتعامدهما، عبر فكّ شفرات نسق البنية السّطحية، للوصول إلى نسق البنية العميقة؛ وعليه فالتسويغُ هنا عملية علمية تحليلية، وأدبية فنيّة تأويلية في آن واحد؛ تأتي هذه العملية بعد مرحلتي الاكتشاف والإظهار؛ كلّ ذلك ضمن ممارسة نقدية واعية، لأن " قراءة أي نص في بعده السردي السطحي، لن يبدو إلّا كإفقار له[12]"، وإضعاف لإمكانات محمولاته ومشمولاته.

وعليه فالسؤال المطروح هنا، عبر أية فاعلية يُمكنُ تسويغ العلاقة بين البنيات السطحية والبنيات العميقة؟ وكيف تقفزُ على سطوح المظهرات، لتبحث في أركيولوجيا المضمرات؟ وكيف تتمّ عملية الانتقال بين البنيتين؟

وكيف تعلّل السيميائيات شبكةَ العلاقات التي تنتظمُ عبرها أنساق النّصوص السّردية؟ وما هو الضابط للعلاقات القائمة بين الوحدات الدّلالية على مستوى البنيات العميقة؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة، سيضبط البحث مفاهيم بعض المصطلحات، حتى يضعَ القارئَ في سياق البحث ورؤيته، وتتحدّد لديه المصطلحات والمفاهيم.

3. ابستيمولوجيا السّرد:

إن محاولة حدّ السرد، تدفعنا إلى معالجته ومعاينته برؤية شمولية، وبتصوّر عام ومنفتح يستوعب كل الأشكال والأنماط والطرائق والأنساق، على اعتبار أنّ المعاني مبثوثة في كل شيء؛ ومنه يمّم البحث وجهه شطر تحديد مقولات السّرد والسّردية؛ إذ مجمل الهدف الذي يسعى إليه، يظلّ متمركزا حول ما تقدّمه فاعلية الإحاطة بمجمل ما ينتظمُ أنساق النصوص السردية، ومن العمق الذي تستمدّ منه تماسكها الدلالي.

يُنظر إلى السّرد على أنه خطاب غير منجز أو حكي يقوم به سارد معين ليس بالضرورة هو الكاتب، بل قد يكون الوسيط بين الأحداث والمتلقي أو القارئ[13]، والسرد هو خطاب يقدّم حدثا أو أكثر، وهو غير الوصف؛ وهو منتج وسيرورة الحدث، موضوع وفعل، بنية وبنينة، يتعّلق بحدث خيالي أو أكثر، ويقوم بتوصيله راوٍ واحد أو أكثر، ويُقدّم لمروٍ له واحد أو أكثر[14].

إثر هذا التّحديد، يُمكن حصرُ أطراف العملية التواصلية، في أدائها التواصلي السّردي، فالسرد لا يعدو كونَه وسيلة توصيل مضمون القصة أو محتوى الحكاية، إلى المتلقي بقيام وسيط بين الشخصيات والمتلقي، وهو الراوي في نهاية الأمر؛ كما أنّ طرائق التوصيل هذه تختلف من شخص إلى آخر؛ وعليه تقعُ على عاتق الناقد مسؤولية تبيين الطرائق التي أعاد فيها السّارد ترتيب الحكاية التي هي في جوهرها حدث وما يلحقه من تبئير، أو مجموعة أحداث، إمّا متقابلة أو متماثلة أو متكاملة، تبعا للأنساق التي تُؤطّرها.

تستمدّ أنساق الدلالة في النصوص السردية تماسُكها من وجود نظام يضبط العلاقات بين الوحدات السّردية، و" من خضوع النص للنظام المنطقي والنظام الزمني ونظام الفضاء، وكلّها تتحكّم في علائق السّببية، والاشتمال والانفصال والترابط والاحتواء، التي تتحكّم بدورها في شروط إنتاج المعنى والدلالة وفي مستويات البنيات المختلفة[15] "؛ حيثُ تُوظّفُ البنيات العميقة كبنيات كبرى للنصوص، إذ يتقاطع عبرها مستويان:

- المستوى المظهر للسّرد، حيث يشتغل عبره النسق اللساني، وتتمظهر من خلاله العلامات اللسانية.
- المستوى المضمر، وهو المستوى الكامن، أي البنية العميقة.

4. العلامة والسّيميوز والسّيرورة:

بعد التّقديم الذي قدّمه اللساني دي سوسير، للعلاقة بين الدال والمدلول، حاول أن يُوضّح العلامة، إذ هي حصيلة العلاقات بين مجموعة الحدود، التي يعيد صياغة حدودها اللسان؛ والعلامة كما يرى إيكو تولد كلّما استعمل الإنسان شيئا محل آخر.

إنّ الإقرار بأنّ العلامة هي أساس الكون كلّه، يفرضُ وجود نسق سيميائي، هذا النسق تكون العلامة أساسه في الفهم والإجراء والتعريف والاشتغال، وبالتالي لا يُمكن أن يكون منطلق سيرورة التدليل؛ كون هذه السيرورة تظلّ الغاية من وجود أي نسق؛ لأن منطق السيرورة يقتضي أن يُحيل الأوّل على الثاني، والثاني على الثالث، والثالثُ على الرابع؛ ويقتضي أيضا أن يحيلَ الأوّل على الثاني عبر الثالث؛ وهو في الوقت نفسه قابل لأن يتحوّل إلى أوّل يُحيل على ثانٍ عبر ثالث جديد، ومنه لا يُمكنُ وقفُه؛ ومنه يُمكن " اعتبار النص ضمنيا – ورغم اكتمال شكله في الظاهر– مفتوحا وقابلا فوق ذلك لعدّة مدلولات، وعدّة إمكانات في التأويل[16]".

وبالتالي فاكتفاء العلامة بذاتها أمر غير وارد، وغير ممكن الحدوث؛ لأنّ هوس المعنى يظلّ قائما، ولذلك يُطرح السؤال التالي بإلحاح " هل المعنى هو السند الوحيد للعلامة، أم إن وظيفة العلامة وفاعليتها هي السبيل الوحيد الذي يقودنا إلى إدراك المعنى وفهمه؟[17]" وهذا ما حاول أحمد يوسف الإجابة عنه.

ما دامت العلامة أساس التعريف والاشتغال، وما دام اكتفاؤها بذاتها أمر مستحيل، فإن النسق سيصبح مدخلا للحديث عن التأويل وإنتاج الدلالة وسيرورتها وتداولها، عبر إقامة روابط بين آليات إنتاج الدلالة؛ وهذا ما اصطلح عليه السيميائي بيرس "السيميوز"، أي السيرورة المؤدية إلى إنتاج الدلالة.

تعدُّ الدلالة في حدّ ذاتها سيرورة، وليست قالبا أو معطى جاهزا سابقا للفعل، لأن كلّ واقعة تحتاج من أجل إنتاج دلالاتها إلى سيرورة داخلية، هذه السيرورة تجمع كل العناصر والأجزاء المشكّلة لها؛ وعليه فالسيميوز: هو السيرورة التي تشتغل وفقها ومن خلالها العلامة، وهي في هذه الحال تستدعي ثلاثة عناصر، هي:

- الصورة السمعية/ التمثيل الصوتي/ المتوالية الصوتية.
- موضوع العلامة الذي يستندُ إليه التمثيل الصوتي، من أجل استحضار الصورة الذهنية(إنتاج).
- المفهوم الذي يحوّل الموضوع إلى صورة ذهنية.

إنّ هذه العناصر لا تُشكّل المضمون الحقيقي للسيميوز، وإنّما الترابُط بينها والتعالقُ بينها، هو ما يُشكّل

المضمون الحقيقي للسيميوز، حيثُ نجدُّ إمكانيةَ الاستمرار والسيرورة دون انقطاع، وهذا الذي قدّمه "بيرس".

وعليه فإن استراتيجية الدلالات المفتوحة، هي التي تُساعدُ عبر السيميوز على الانفتاح صوب تخوم المعاني تبعا للسيرورة التأويلية، من خلال ما يُقدّمه من دينامية تأويلية، " حيثُ يتّخذُ النّص دلالات مُتعدّدة وقابلة لتأويلات شتى[18]" تظلّ عبرها المعاني في تجدّد مستمرّ، لذلك يظلّ السيميوز إكسير التأويل لمقاربة أنساق النص السردي، كونه يرتهنُ إلى السيرورة، وكون الناقد مهوسٌ بالمعنى المنشود.

5. السّيميائيات السّردية (Sémiotique narrative) الإطار والإجراء:

يعدُّ ألجرداس جوليان غريماسA.J.Greimasرائد السيميائيات السردية، أو مدرسة باريس السيميائية ومن أشهر أتباعه نجدُ: جوزيف كورتيس J.Courtés وجون ماري فلوش J.M.Floch، ففي سنة 1970 كتب غريماس كتابه" في المعنى" ثمّ في صدر له المؤلف الثاني "في المعنىII" وفي سنة1982، صدر له المعجمين السيميائيين اللذين أنجزهما بالاشتراك مع تلميذه جوزيف كورتيس[19]. و"تتميّزُ نظرية غريماس بخاصية أساس، يُمكن تحديدُها في صيغة بسيطة: مشكلة المعنى[20]"

تطمحُ السيميائيات السّردية، دائما إلى "توظيف كشوفاتها للاقتراب من الخطاب السردي في مستوياته التركيبية والدلالية[21]" كونها قادرة على امتصاص كثير من نتائج العلوم، واستثمار مختلف استكشافاتها، عبر ما تقدّمه لها من نتائج علمية ووسائط معرفية، من أجل خدمة توجهاتها وغاياتها النظرية والإجرائية[22].

لم تكن السيميائيات السردية بمنأى عن فاعلية التحاقل المعرفي، حيث أثّرت وتأثرت بالاتجاهات الأخرى للنظرية السيميائية، بالرغم من اختلاف أطرها المعرفية ونماذجها التحليلية؛ وفي هذا الصدد نجدُ الاتجاهات الآتية:

- سيميائيات التواصل مع: بويسنسBuyssens وبرييطو Prietoومونان Mounin
- وسيميولوجيا الدلالة مع رولان بارت Roland Barthes التي أخذت على عاتقها دراسة أنساق الدلالة.
- وسيميائيات الثقافة مع الإيطالي أمبرتو إيكوU.Eco

استثمر غريماس نتائج الدراسات والأبحاث التي سبقته؛ حيثُ وضع غريماس الأساس النظري للسيميائيات السردية بناءً على ما استخلصه من دراسات فلاديمير بروب V.Propp من خلال كتابه "مورفولوجية الخرافة" الذي درس فيه الخرافة والحكاية الشعبية.

وعليه، فإن المنظومة الاصطلاحية التي قدّمها غريماس غنية جدا، حيثُ " يتميّزُ جهاز غريماس النظري- ولعلّنا لا نُجازف إن أضفنا دون سائر النظريات السردية الحديثة-بطاقته الإجرائية الهامّة، فهو من الاتساع والقدرة على الاستيعاب، بحيث يسوغ أن نوظّفه في دراسة نصوص متنوّعة تنوّع النّصوص التي تملأ الساحة الثّقافية[23]".

تشتغلُ السيميائيات السردية ضمن المستوى المضمر، فهي تُعنى برصد البنيات العميقة التي تتحكم في مظاهر الخطاب؛ لأنّه في تصور غريماس، البنية العميقة هي بنية تتحدّد داخلها الكينونة الإنسانية بتنوّع أشكال حضورها الجماعي والفردي[24]؛ ومن ثمّة فتحديد البنية العميقة، هو تحديد لجوهر المنظومة الثقافية والقبض على جوهر النسق الثقافي، الذي يتحكّم لاحقا في السلوك، ومنه فالسلوك مرتبط بثقافة تُبرّره وتُفسّره.

لا يُمكن بلوغ البنية العميقة إلا من خلال المرور والنفاذ عبر البنية السطحية، هذه البنية التي تُشكّلُ نظاما سيميائيا أو نسقا سيميائيا، يتجلّى في أشكال خطابية؛ فالنسقُ هنا هو مجموعة القواعد التي تقوم بتنظيم القوانين والعلاقات عبر أفقية الخطاب، والتعالقات التي تحكُم المستوى التركيبي، ومُختلف تمظهراته اللسانية، عبر مستوى العلامات.

وعليه، فالبحث لم يعُد يشتغل ضمن مقاربة النصوص السردية الأدبية ويقصُر السرد عليها فقط، ولم يعُد ذلك الاعتقاد راسخًا بأن السرد موجود في أجناس أدبية معينة؛ وإنما أصبحَ البحثُ يشتغل على مقاربة الأنساق السردية وما ينتظمها من مستويات وأشكال وما تؤول إليه من أنساق الدّلالات ومدلولات الدّوال.

كلّ ذلك لأنّ السّرد غدا فعلا لا حدود له، يتّسع ليشمل مختلف الخطابات سواء أكانت أدبية أم غير أدبية، يبدعه الإنسان أينما وجد وحيثما كان، فيمكن تأدية الحكي باللّغة والصورة والحركة والتاريخ والأسطورة والحكاية والقصة والخرافة والملحمة والإيحاء واللوحة...

انطلاقا من هذا التصوّر، فإنّ السّرد لدى غريماس يتجاوز الحدود الأدبية، وبالتالي فالسّرد يُمكن أن يتحقّق في أي عمل يقوم على الحكاية، بغضّ النّظر عن الأداة أو الطريقة التي تتمّ بها عملية التواصل والحكي؛ وهذا باعتبار أن السّرد مجموعة من الأحداث، تربطُها مجموعة العلاقات، التي تُشكّل الشروط الداخلية للمعنى، لأنّ هوس السيميائي الناقد هو القبض على المعنى المقصود وتعليلُه وتسويغُه؛ أي أن النقد هو معنى ثان للعمل الأدبي يرتبط بالمعني الأول عن طريق العلامات.

يمكن القول؛ إنّ هوسَ المعنى لدى الناقد في حدّ ذاته، والشروط الداخلية للمعنى في أي نص، هي محطّ اهتمام المقاربة، دون اعتبار لتلك العلاقات الخارج نصية؛ أو ما يُمكن أن يُقيمه النص من علاقات مع أي عنصر

خارج نسقه، فدائرة الاشتغال هنا تظل محايثة[25] ومقصورة على المعنى دون غيره، من حيثُ طرحها للمعنى وهوسُها بالمعنى، لأنّ مقاربة نص ما لا يكون لها معنى إلا في حدود طرحها للمعنى كهدف وغاية؛ والمحايثة مفهوم نسقي،

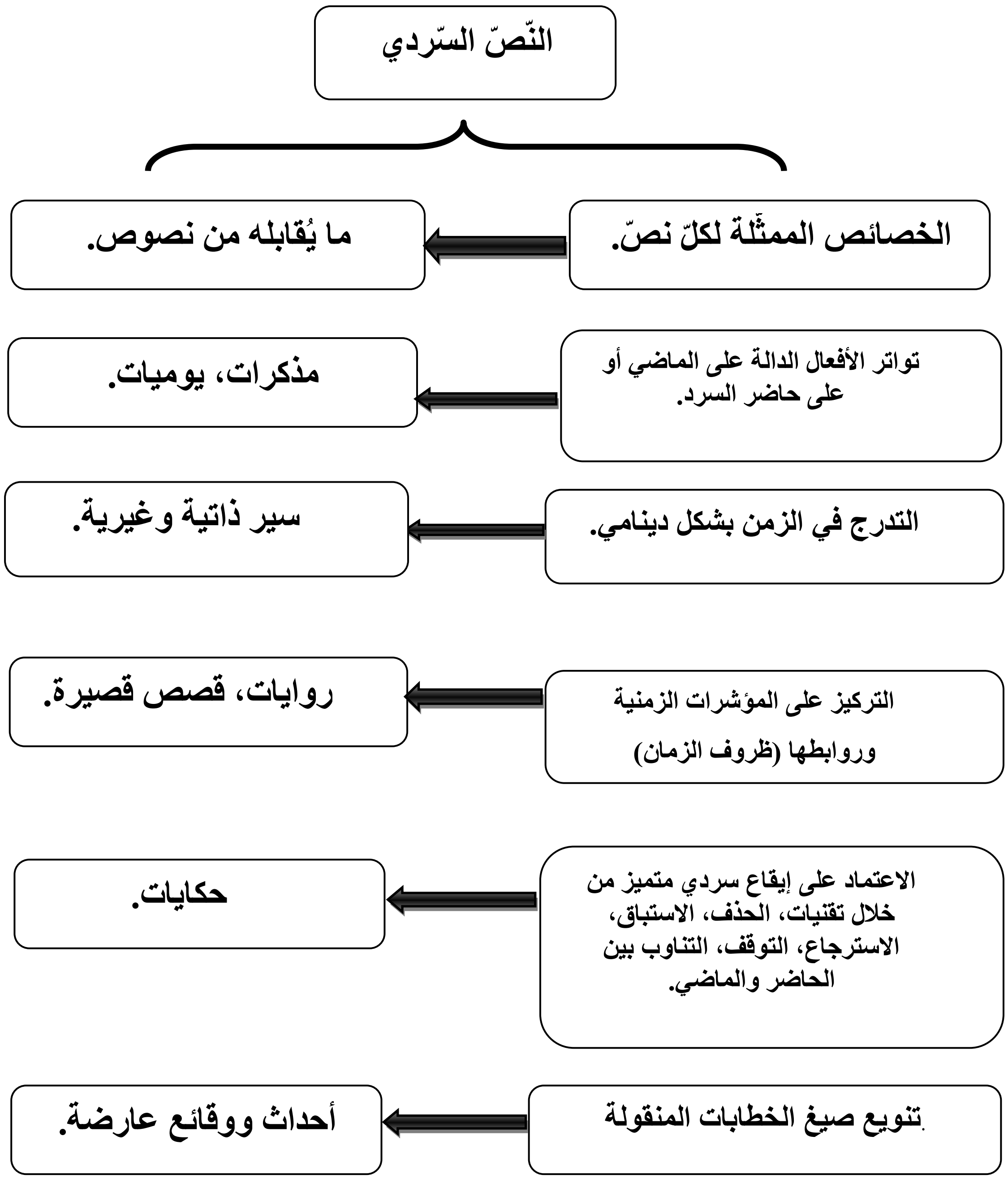

فالتحليل السيميائي المحايث هو أن تبحث السيميائية عن العلاقات والمنظومات والوظائف النصية الداخلية، التي تُسهم في توليد الدلالة، وتحديد أنساق المعنى، وإهمال العلاقات الخارج نصية، سواء اجتماعية أم تاريخية أم سوسيو ثقافية، فالمقاربة السيميائية المحايثة هي بحث عن شكل المضمون وهوس بالمعنى المنشود، عبر

علاقات التشاكل والتضاد وفيما يلي مخطّط يبين بعض الخصائص المميّزة للنّص السّردي وبعض النماذج، التي يُمكن أنّ تتضّمّنه.

6. خاتمة:

حاول هذا البحث ضبط بعض المحدّدات السّيميائية الكبرى في مقاربة النّصوص السردية، بغية معرفة كيفية اشتغال أنساقها، من خلال ضبط العلاقات القائمة بين الوحدات الدلالية الكامنة والمضمرة في عمقها، كلّ ذلك عبر آليات الاكتشاف ثم الإظهار ثم التسويغ؛ حيث إنّ استكشاف البنيات الدلالية العميقة، عبر أنساق النصوص، يظلّ عملا مبتورا، ما لم يُتبع بإظهارها وإخراجها؛ انتهاءً إلى هذه المرحلة، فإنّ هذا العمل سيظلُ تحليلاً، ينهضُ به محلّل يمتلك الآليات والمفاتيح.

لقد حاول البحث أن يشتغل على تقديم مقاربة جديدة، ترتهن إلى محدّدات يقترح مصطلحاتها الباحث، وذلك بعد أن قدّم رؤيته النظرية في كيفية الاشتغال على أنساق النصوص السردية، من خلال المحدّدات الثلاث التي اقترحها، وهي: الاكتشاف والإظهار والتسويغ؛ حيث إنّ الوحدات الدلالية تظلّ مجهولة الهوية، كونها وحدات تحمل دلالات معجمية، تتأرجح بين مستوى الدلالة السردية ومستوى المحكي؛ تارة تتقابل، وتارة تتماثل وتارة تتكامل؛ فلذلك يقترح الباحث المحدّدات التالية: محدّد التقابل، ومحدّد التماثل، ومحدّد التكامل.

7. الهوامش:

1- روبرت شولز، السيمياء والتأويل، تر سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 1991، ص 21.
2- عادل رمضان، فهم الفهم مدخل إلى الهيرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، دار رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2007، ص14.
3- روبرت شولز، السيمياء والتأويل، تر سعيد الغانمي، ص34.
4- روبرت شولز، السيمياء والتأويل، تر سعيد الغانمي، ص62.
5- عادل رمضان، فهم الفهم مدخل إلى الهيرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، ص14.
6- عادل رمضان، فهم الفهم مدخل إلى الهيرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير،ص 14.
7- عادل رمضان، فهم الفهم مدخل إلى الهيرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، ص15.
8- عادل رمضان، فهم الفهم مدخل إلى الهيرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، ص 21.
9- روبرت شولز، السيمياء والتأويل، تر سعيد الغانمي، ص 39.
10- يُنظر، سعيد بوعيطة، المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية، غريماس نموذجا، 55-45, Semat.Vol1.NOماي 2013 An International journal-ص47، .http//dx.doi.org/10.12785/Semat//010105
11- بشير القمري، شعرية النص الروائي، قراءة تناصية في كتاب التجليات، البيادر للنشر، الرباط، ط01، 1991، ص 14.

12- رولان بارط، غريماس، وآخرون، طرائق تحليل السرد الأدبي، دراسات، تر، سعيد بنكراد، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط01، 1992، ص 184.

13- ينظر، سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب بيروت، لبنان، ط 01، 1985، ص 110.

14- يُنظر، جيرالد برنس، قاموس السّرديات، تر، السيد إمام، ط 01، 2003، ميريت للنشر، القاهرة، مصر، ص 125،124.

15- بشير القمري، شعرية النص الروائي، قراءة تناصية في كتاب التجليات، ص 12.

16- بشير القمري، شعرية النص الروائي، قراءة تناصية في كتاب التجليات، ص 14.

17- أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط01، 2005، ص 181.

18- بشير القمري، شعرية النص الروائي، قراءة تناصية في كتاب التجليات، ص 19.

19- سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، منشورات الزمن، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، دط، 2001، ص 09.

20- سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، ص 09.

21- عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، دار القدس العربي، ط 01، 2009، ص 91.

22- يُنظر، قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، دار الألمعية، ط 01، 2014، ص 21،22.

23- محمد الناصر العجمي، في الخطاب السّردي، نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، تونس، د ط، 1991، ص 109.

24- يُنظر، سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، ص 44.

25- يُنظر، جيرالد برنس، قاموس السّرديات، ص 125،124.

6. قائمة المصادر والمراجع:

1- روبرت شولز، السيمياء والتأويل، تر سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 1991.

2- عادل رمضان، فهم الفهم مدخل إلى الهيرمينوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامير، دار رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2007.

3- بشير القمري، شعرية النص الروائي، قراءة تناصية في كتاب التجليات، البيادر للنشر، الرباط، ط01، 1991.

4- رولان بارط، غريماس، وآخرون، طرائق تحليل السرد الأدبي، دراسات، تر، سعيد بنكراد، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط01، 1992.

5- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب بيروت، لبنان، ط 01، 1985.

6- جيرالد برنس، قاموس السّرديات، تر، السيد إمام، ط 01، 2003، ميريت للنشر، القاهرة، مصر.

7- أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط01، 2005.

8- سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، منشورات الزمن، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، دط، 2001.

9- عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، دار القدس العربي، ط 01، 2009.

10- قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي، دار الألمعية، ط 01، 2014.

11- محمد الناصر العجمي، في الخطاب السّردي، نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، تونس، د ط، 1991.

المجلات:

12- سعيد بوعيطة، المرجعية المعرفية للسيميائيات السردية، غريماس نموذجا، 55-45, Semat.Vol1.NOماي An International journal- 2013ص47، .http//dx.doi.org/10.12785/Semat//010105